معرض ألفرد طرزي: تجهيز لإعادة تاريخ لبنان

الجسرة الثقافية الإلكترونية

المصدر: السفير

لحظة دخولنا إلى «غاليري جانين ربيز»، من أجل معاينة أعمال ألفرد طرزي المعلّقة هناك (حتى 23 أيار)، سيطالعنا الأسود، لا لأن اللون المذكور حاضر أكثر من سواه وحسب، بل لأن الأعمال شبه مونوكرومية، ما يجعل التعاكس واضحاً مع جدران الصالة البيضاء. وهذا التعاكس، المقصود على ما نعتقد، يساعد في تكوين الشعور الأولي الذي، هو بدوره، يبدو مسحوباً بدقة.

لكن اللون ليس سوى العنصر الشكلي، المساعد، من أجل تحقيق النظام المشهدي الذي أراده ألفرد طرزي في معرضه المعنون: «قطعة خالية من الأرض»، أو «قطعة أرض خالية»، كي لا يخطر في بالنا أن الأرض خالية من ترابها، وهو في الواقع، التراب الذي سنشاهده، ولو على شكل حصى، في زاوية من المعرض. إذ إن طرزي أراد، كما هو واضح، استغلال مساحة صالة العرض بكاملها كي يجسّد ما يجول في خاطره: إقامة نصب تذكاري لضحايا الحرب الأهلية اللبنانية (إذا ما استثنينا المفهوم الكلاسيكي للنصبِ)، مع ما يتصل بتلك الحرب من ذكريات ولحظات تأمل وحزن، وأمل أيضاً، في محاولة لتصوّر نهاية لما شهده بلدنا على مدى عقود من حوادث لم تنتهِ فصولها حتى الآن، كما نرى، إلاّ في ما يخصّ الوقائع العسكرية المباشرة، التي أورثت أثلاماً تتسع أو تضيق، بحسب الأوضاع والواقع المتغيّر.

ألفرد طرزي كان درس الغرافيك ديزاين، ولذا فمن البديهي أن تتمحور أعماله التشكيلية، في شكل عام، حول التصوير الفوتوغرافي، والتصوير التشكيلي والكولاج الرقمي، وكذلك أنواع التجهيز والبرفورمانس، ويُضاف إلى ذلك فن آخر هو السينما، التي أُولع بها الفنان، كما يقول. وفي اجتماع هذه العناصر، التي يمكنها أن تصير

متكاملة في معرض واحد، مع الأخذ في الاعتبار احتمال طغيان عنصر على الآخر، تصبح معاينة الأعمال المعروضة أشبه بتتبع شريط مركّب من الأحداث، يبدأ، بحسب السيناريو المطروح، من الجهة اليمنى من الصالة، التي عُلّقت اللوحات على جدرانها، متتابعة كحالة سينمائية، لتكتمل الحلقة بعمل تجهيزي من الجهة اليسرى هو عبارة عن «حقل» من الحصى ترتفع فيه، أو منه، قضبان حديدية ذات نهايات ملتوية.هذه القضبان، كما يفيد مظهرها، لم تخرج لتوها من المصنع، بل حملت على صفحتها تراباً وبعضاً من الصدأ، وكأنها آثار من حياة ماضية، وأشبه بشواهد لقبور إناس رحلوا، بعدما ابتلعهم أتون الحرب الأهلية.

لم يبقَ من الراحلين سوى جثث مدفونة، وأرواح هائمة، إذا ما سلّمنا بوجودها، وصور تمثلهم وهم أحياء، وضعها ألفرد طرزي ضمن اللوحات المعلّقة من الجهة اليمنى. لوحات أقرب إلى صناديق قليلة السماكة، تحوطها إطارات من الستانلس ومغطاة بزجاج. ينقلنا المشهد إلى تداعيات سينوغرافية، وقد تذكّرنا هذه المقاربة بقبور موتى حُفرت شواهدها بغية وضع صورة للفقيد الراقد تحت التراب، تتآكل، عادة، مع الوقت بفعل عوامل الطبيعة. صور ألفرد طرزي، هي أيضا، ليست صافية، بل ممشّحة بضربات داكنة أو مموهة، وكأن الزمن، وربما النسيان، جعلاها هلامية. ثمة أعمال قُسمت إلى جزءين ، يجتمعان في طابعهما المونوكرومي وفي اعتماد الكولاج، ويختلفان في تنقلهما ما بين الصورة الواقعية والمساحة المبنية على أسس غرافيكية. وفي حين يقوى تقميش الخلفية تارة، يتقلص طورا مفسحا المجال لخطوط سميكة سوداء، قد ترسم شكلا معروفا أو ذا منحى تجريدي. في أعمال أخرى ينوب الشكل الإنساني، المحدد بخطوط ومن دون تفاصيل، عن الصور، وهو شكل لا هوية له سوى أنه يشير إلى جنس القامة الممثلة، ذكر أكانت أم أنثى، وذلك كله ضمن منحى تأليفي يختلف بين عمل وآخر.

استناداً إلى ما سبق ذكره، تحيد تسمية «لوحات»، بحسب المفهوم المتداول، جانبا، فالمعرض الذي نحن في صدده ليس سوى عمل تجهيزي متعدد الأوجه، يهدف إلى إعادة كتابة تاريخ لبنان المعاصر، بحسب ما يقول الفنان، على ما يحتوي هذا التاريخ الشائك من صراعات وتناقضات، تتناسل وتتعدّد في كل حين، وعند كل مناسبة.